هل الانتحار حقٌ أو جريمة

رأي أصحاب فلسفة الرواقية فيه

واشهر حوادثه بين كبار اليونان والرومان القدماء

[الرواقيون فلاسفة هم أصحاب الفلسفة الرواقية — Stoicism واول من وضع اساس هذه المدرسة الفيلسوف « زينو » — Zeno — الذي يرجح انه ليس من اصل يوناني ولكنه هبط آتينا واخذ يعلم في الرواق — Stoa — ومن هنا اخذ اسم المدرسة واسم الفلسفة نفسها . ولما مات زينو خلفه في التعليم الشاعر « كليانتز » ثم الفيلسوف كريسيبوس الصولي . وفي القرن الثاني قبل الميلاد استطاع « بانايوس » Panaetius ، احد افراد المدرسة ، ان يثبت قدم الفلسفة الرواقية في روما حيث تخرج فيها من العظماء امثال أبقراط وسنيكا والامبراطور ماركوس أوريليوس المعروف]

تحدر فكرة الانتحار عند الرواقيين ، او بالاحرى تتسلسل ، من فكرة اخرى ، تقوم ، كما تقوم كل المبادئ الرواقية ، على مبادئ الآداب . وهي فكرة ان الموت نهاية طبيعية للحياة ، وانهُ ليس عقاباً ينزل بالاحياء ، كمظهر من مظاهر الغضب السماوي ، مجاراة للفكرة التي شاعت في العصر الوثني ، وانتقلت بالفتاح الى بعض العصور التي استحال اليها الفكر في العصور الوسطى . فقد علم الفلاسفة على مدار العصور التي اخذ ينظر فيها العقل الانساني في الكون نظراً فلسفيًّا ، ان الموت سنة طبيعية ، وليس عقاباً . اما بعض فلاسفة القرون الوسطى ، فقد زعموا ، محاذاة للفكرة الوثنية ، ان الموت عقاب ، فرضه الخالق على بني الانسان انتقاماً من خطيئة آدم ، تلك الخطيئة التي نُسِبَت اليها كل صور الالم والمرض والمصائب التي تنزل بالانسان في حياته ، بل تطرفوا فادعوا ان هذه الخطيئة هي السبب فيما يحدث في الطبيعة من اعاصير تحمل نتائجها بالحياة البشرية ، وان نور الشمس قلَّ سناؤهُ وضؤل سناهُ منذ أن اكل آدم من الشجرة المحرَّمة في جنة الفردوس

هذا في حين أن بعض الفلاسفة قد علَّموا ان الموت نهاية الاوصاب والآلام وعزوا بفكرة ان الآلام الطبيعية تنتظر في الآخرة اولئك الذين استحالت اجسامهم الى تراب ، بل قالوا ان الاعتقاد بمثل هذا انما يمثل احط السخافات التي ينزل اليها الفكر الانساني ، وعمدوا الى القول بان مثل هذه الخيالات قد حان حينها ، وانها لابد زائلة سريعاً من مجال المعتقدات العامة

أما المقدمون منهم فقد علموا ان الموت فاتحة آلام ممضة مضنية سوف يقاسيها العديد الاكبر من ابناء آدم . آلام تتضاءل بجانبها اتعس المآسي التي نزلت بالنوع الانساني في حياته الارضية . آلام تقصر عن تحملها ارق ضروب الشجاعة والاقدام . آلام لا يحتملها الا الذوات الخالدة ، دون الذوات الفانية . اما الفرق بين المذهبين فظاهر في ان المذهب الاول يعتبر الانسان بريئاً صافياً حتى يخطىء بارادته . في حين ان المذهب الثاني يعتبره محكوماً عليه بالالم منذ ان يرى ضوء الحياة طفلاً ، ومن ثم الى ابد الآبدين

مثل المذهب الاول ما يقول بلوطرخوس :

« لا يجب أن تقدم تضحيات عن انفس الاطفال الذين يموتون في فجر حياتهم ، كما لايجب ان يقوم الناس لهم بشيء من المراسم التي يباشرونها في جنائز البالغين وعلى قبورهم لان المعتقد يجب ان يتجه الى ان الاطفال لم يفسدوا في الارض ولم يعالجوا شيئاً من الشهوات الارضية . ان القانون يمنعنا عن تكريمهم ، لان الدين لا يجيز لنا ان نحزن على تلك الارواح الصافية البريئة التي انتقلت الى حياة ارقى ، وسنرى افضل وأبقى »

ومثل المذهب الثاني قول من قال بان الاطفال انما يولدون ويموتون في ظل الديونة التي أدانهم بها آدم منذ اول الخليقة حتى الآن

ويمكننا أن نستخلص من هذه الاقوال فرقاً آخر بين التعليمين . فالمدرسة الفلسفية الاولى قد حاولت ان تقيم قواعدها على اساس الطبيعة الأدبية الثابتة في قلب الانسان . فقالت بان الانسان قد ينال رضا الخالق بفضائله الشخصية ، وبفضائله وحدها ، وبذلك تصبح كل الكفارات والتضحيات والمراسم والصور التعبدية التي يباشرها امور لا قيمة لها ، وان العبادة الحقيقية تنحصر في معرفة الله والتشبه به باعتباره خيراً محضاً . واما المدرسة الثانية فقامت على قاعدة ان ارقى الفضائل الانسانية غير كافية لان تلغي حكماً أزليّاً ، ما لم يشترك معها اعتقاد ثابت في صحة طائفة من التعاليم ومراعاة الرسوم والقواعد التي تتبعها . ومن هنا نرى أن رجال المدرسة الاولى قد نفوا عن الخالق فكرة الغضب والانتقام وتلقي الالم على يديه في الحياة الاخرى . اما اهل الثانية فاعتقدوا من المبادىء ما يضاد هذه الفكرة تماماً

هذه ولا شك فروق واضحة كل الوضوح . اما وضوحها فراجع الى انها مستمدة من مبادىء اساسيّة قامت عليها صور الفلسفة القديمة

من الاغراض التي رمى اليها فلاسفة الوثنيّة ان يخرجوا من الافكار صورة تلك الآلام المفزعة التي حاكها الخيال حول حقيقة الموت ، حتى يستطيعوا ، اذا ما قضوا على آخر معقل يمكنه الخوف ، ان يحققوا حرية الانسان . اما الغرض الاساسي الذي رمى

اليه رؤوس من كبار الفلاسفة في القرون الوسطى بتصوير الموت في تلك الصورة المفزعة ويجعل الفرار من آلامه ومفازعه غير مأمول فيه . فهو ان يتخذوه أداة للاخضاع وكبت الفكر وقمع الشهوة للحرية

ولست نجد هذا الفرق وحده قائماً بين الفكرتين ، من حيث المعتقد في الموت ، بل نجده قائماً حول الفكرة في الحياة ذاتها ، وفي الغرض منها وفي قيمتها . اما الفرق الاكبر بين الفكرتين ، فلن نجده أوفى ، ولن تقع عليه أظهر واجلى ، منك اذا وازنت بين المذهبين اللذين ذهب فيهما كل فريق تلقاء فكرة الانتحار ، الى انها قائمة على انها حرية الانسان في التخلص من الحياة . ولا شك في اننا فعالي اذا ذهبنا الى القول بان الفكرة في الانتحار عند الرواقيين كما عرفت في روما القديمة خلال عصرها ، الوثني والنصراني ، قد نابذت مبادىء الكنيسة وحدها ، بل نابذت كذلك كل المذاهب الأدبية التي قامت في أوربا بعد ذيوع النصرانية ، وحتى بعد أن خلص الميدان لحرية الفكر في العصر الحديث

لم يكن القدماء على اتفاق تام تلقاء فكرة الانتحار وحرية الانسان في التخلص من حياته او التصرف فيها . فان «فيثاغورس» ، الذي ينسب اليه المؤرخون كثيراً من أحكم ما نقل الينا عن القدماء ، قد قضى بان الانسان ممنوع — « عن أن يتزحزح من مكانه في الحياة من غير أن يأمره بذلك مرشده ، أي الله » .[1] وقد قاه «افلاطون» بمثل هذا ، ولو أنه اجاز الانتحار اذا قضى به القانون ، او اذا نزلت بالانسان كارثة فادحة ، أو إذا اصبح فريسة لا تُبقي صور الفقر والخصاصة [2] اما «أرسطوطاليس» فقد حرّم الانتحار على قاعدة مدنية ، إذ اعتبره جريمة ترتكب ضد النظام الحكومي [3]

إنّ حوادث الانتحار التي يرويها التاريخ اليوناني ليست كثيرة ، ولكنها تحوي حوادث وقعت لافذاذ من امثال «زينو» رأس الرواقيين ، والشاعر «كليانتيز» خليفته في المدرسة الرواقية [4]

---

(١) مات فيثاغورس نفسه متحرقاً جوعاً . على أن هذه الرواية التي نقلها ديوجينيس لايرتوس Diogenes Laertius مشكوك فيها عند بعض مشهوري المؤرخين

(٢) راجع القوانين الكتاب التاسع . اما في كتاب « فيدون » ـ Phaedon ـ فقد ذهب افلاطون مذهباً حرّم فيه الانتحار ، ويقول ليانوس في كتابه (De vita Sua) ان البراهين التي اتبعها أفلاطون في كتابه «فيدون» قد منعته عن الانتحار بعد موت بوليانوس . اما شيشرون فيذكر شخصاً يدعى « كليومبروتس » قد اخذته جال البراهين التي اقامها افلاطون في كتابه هذا عن خلود النفس ، فاتى بنفسه في اليم . اما « كاتو » - Cato - الروماني ، فاختار الاكباب على درس هذا الكتاب ليلة انتحر وتخلص من الحياة (٣) راجع الاخلاق الكتاب الخامس

(٤) وضع « لاكتانتيوس » النصراني المعروف جدولا بأسماء المنتحرين من رجال اليونان ، غير ان كثيراً من الحوادث التي يرويها مشكوك فيها عند ثقاة المؤرخين

اما في روما، حيث ذاعت حوادث الانتحار، واخذت الفكرة نفسها صورة اخطر وأوفى أثراً، فان تحريمها قانوناً لم يتقبل عند جميع المشرعين، على اعتبار انه قاعدة أولية. واما رواية «رجيولوس» Regulus (٥) سواء أكانت تاريخاً صحيحاً ام خرافة(٦) فانها تدل على أن تحمل الألم، وعدم الهرب به، كان في عصر من عصور روما أرقى المثل الأدبية. اما الشاعر «فرجيل» Virgil فقد ألبس المنتحرين في العالم الآخر ثوباً قاتماً صاغه في صورة شعرية ضمنها قصيدته «الإنيد». (الكتاب السادس ص ٤٢٤—٤٣٧) هذا في حين أن «شيشرون» اجاز ما ذهب اليه «فيثاغورس» تلقاء الانتحار، ولكنه امتدح انتحار «كاتو» وحبذه. كما ذهب «أبوليوس» في شرح فلسفة افلاطون الى القول بأن الانسان العاقل لن يتخلص من حياته او يتصرف في جسده الا بارادة الله. اما قيصر وأوفيد فقد قضيا بانه في حالة اليأس الشديد قد يمد الانسان الى التخلص من حياته بسهولة، وان الشجاعة الحقيقية، إنما تظهر في ان يقدم الانسان على هذا الفعل

اما الفلسفة الرواقية فقد جمعت بين فكرتين. فكما أنها تحض على ان لا يقصر الانسان من القيام بواجب من واجباته، فهي بجانب هذا تجيز للانسان الحق في ان يتخلص من حياته وان يتصرف فيها بكامل حريته. وكان «سنيكا» من اكبر المدافعين عند تجويز فكرة الانتحار، غير انه لم يلبث ان عمل على ان يلطف مما عناه بنفسه «الشهوة للانتحار» بعد ان ظهرت هذه الشهوة على اشدها بين اتباعه. اما الامبراطور «ماركوس انطونيتوس»، وكان من عمد الرواقيين، فقد تراوح بين تجويز الانتحار وبين تحريمه. فبينما تراه يقول بأن لكل الحق في ان يتخلص من الحياة عند ما يريد اذا بك تجده في موطن آخر يذهب مذهب «افلاطون» فيقول ان الانسان جندي من جنود الله، وانه يشغل مقاماً، من الاجرام العظيم ان يخليه بارادته. اما افلوطين السكندري، وفرفوريوس الصوري، فكلاهما ينحى على الانتحار بأقصى ما بلغ مستطاعهما

---

(٥) Regulus — ماركوس أتيليوس رجيولوس — كان قنصلا رومانياً سنة ٦٧ ثم سنة ٢٥٦ ق م. هزم الاسطول القرطاجي ونزل الى البر وانتصر اولا، ثم هزم هزيمة حاسمة واخذ اسيراً سنة ٢٥٥ ق م. وظل في الاسر خمس سنوات حتى اضطرت الظروف اهل قرطاجنة الى طلب الصلح، فأرسل سيدهم على كلمة الشرف، وعاد الى روما مع البعث البوني. ثم نجح في ان يحمل السناتو على عدم الاخذ بمقترحات البعث البوني الذي فاوض في الصلح مع قرطاجنة. وتنفي الاسطورة في القول بانه عاد الى قرطاجنة فقتل وفاء اهل قرطاجنة في تلك تحت تأثير الآلام يصر على الذهن تصورها

(٦) راجع آدم سميث في كتابه «العواطف الادبية»

غير انه على الرغم من هذه الاقوال ، فان فكرة الانتحار عند القدماء تختلف في اساسها وحلتها عن الفكرة عندنا فيه . فان اجازة الانتحار وتبريره ، فكرة تتفق على مدى العصور القديمة في اكثر مدارس الفلسفة ومذاهب الفكر ، وحتى المدارس التي انحت على الانتحار وقاومته ، فانها لم تبلغ من النظر في الانتحار مبلغ الشناعة التي نراها فيه المدارس الحديثة . ولقد كان هذا راجعاً في العصور القديمة الى ما ادرك القدماء من ظاهرة الموت ، وما كوّنوا حولها من فكرات ومعتقدات . وكذلك لايجب ان يغيب عنا ان جماعة من الجماعات البشرية ، ان اجازت الانتحار ، فان الفعل ذاته ، ما دام قد اجيز ، يفقد كثيراً من الفكرة الاجرامية التي تحوم حوله في عقول المحدثين . وحتى الذين يعتقدون ان الالم الذي ينزله الانتحار بمن يلوذون بالمنتحر ، لاينحصر فيه كل ما يدركون في الانتحار من جرم ، يسلمون بديًا انهم يعتبرون الانتحار باعتباره من كبائر الاثم . هذا في حين ان اعتبار الانتحار من كبائر الاثم ، لم يقم مطلقاً في عقول الاقدمين فان « ابيقور » مثلاً قد حض الناس على ان « يوازنوا بدقة ويفاضلوا بين ان يأتيهم الموت ، وبين ان يذهبوا لموت بانفسهم » . ولقد انتحر كثير من اتباع « أبيقور » أمثال « لوكريطيوس » — Lucretius — شاعر الرواقيين المعروف ، « وكاسيوس » — Cassius — وكان داعية شديد الوطأة ضد الطغاة يدعو الى قتلهم ، و« أتيكوس » — Atticus — صديق شيشرون الخطيب الاشهر ، « وبترونيوس » — Petronius — الشهواني الخليع ، و« ديودورس » — Diodorus — الفيلسوف . أما « بلينيوس » — Pliny — فقد ذهب الى ان حظ الانسان من حيث قدرته على التخلص من الحياة ، يفوق حظ الخالق ، في ان للانسان قدرة على ان يذهب الى القبر باختياره ، بل قال بانهُ من اكبر البراهين على كرم العناية القدسية ، انها حببت الناس بكثير من صنوف الاعتاب المسلّطة التي يجد فيها المتعبون والمتبرمون بالحياة ، موتاً سريعاً لا ألم فيه . ومن الشخصيات العجيبة التي يذكرها شيشرون عرضاً في خلال كلامه ، شخصية « هجياس »[٧] — Hegesias — الذي تسمّيهُ القدماء بانهُ خطيب « الموت » . فانهُ على الرغم من اعتناقه المذهب السيريني[٨]

(٧) خطيب يوناني عاش في القرن الثالث قبل الميلاد ويدعى هجياس المغنيسي — Hegesias of Magnesia والف كتاباً في تاريخ الاسكندر المقدوني . (٨) الفلسفة السيرينية وضعها الفيلسوف اليوناني ارستيبوس — Aristippus — السيريني (٤٣٥ — ٣٦٠ ق . م) فالمذهب منسوب الى مسقط رأس واضعه . وكان من اصحاب سقراط . وعلم ان الخير الاكبر يتحصر في تحصيل لذة الساعة ، وان كل الاشياء الاخرى ذات القيمة في الحياة يجب ان تستخدم في سبيل ذلك . غير انه علم بجانب هذا ان الفلسفة والحكمة في مستطاعها ان يحررا الانسان من المتاعب الطبيعية

Cyrenaic في الفلسفة ، وهو مذهب يجعل اللذة على اعتبار أنها الغاية العليا للكائن العاقل المفكر ، قد علم أنّ الحياة مليئة بالمتاعب ، وان ملاذها وشيكة البقاء سريعة الزوال ولا حقيقة لها ، وان الموت هو أسعد نهاية يمكن أن يبلغ اليها الانسان . ولقد كان لهُ من بلاغة التعبير وفصاحة اللسان ، ما مكنهُ من أن يثير حول القبر من صور الترف والشغف ، ما يجعل اتباعهُ يتسابقون الى الوصول الى الغاية من مذهبهِ ، حتى لقد تحرر كثير منهم بالموت من اكدار الحياة . ولقد انتشرت العدوى انتشاراً اضطرّ معه بطليوس ، ملك مصر أن يتقي الفيلسوف من مدينة الاسكندرية

غير انّ فكرة الانتحار لم تبلغ مبلغها الأقصى الاّ في عصر الامبراطورية الرومانية ، وعند رواقيي الرومان ، حيث تحررت فكراتها وتحددت صورتها الفلسفية . فمنذ عهد من الزمان عهيد ، كانت فكرة التضحية بالذات ، كما فعل « كورتيوس » (٩) وديسيوس (١٠) قد حُبِّذت في بعض الاحوال كطقس من الطقوس الدينية ، وان هذه الفكرة قد انتقلت بالتقاح من الازمان الاولى عن عادة التضحية بالخلائق البشرية ، كما ذهب بعض الكتّاب (١١) . وفي اواخر العصر الوثني تجمعت اسباب كثيرة قادت الناس الى الاخلاد لفكرة التضحية بالذات . فان مثل « كاتو » (١٢) الذي اصبح المثال المقتدى بهِ عند الرواقيين ، والذي كان انتحاره مورداً عذباً لبلاغتهم ومنهلاً يستقون منهُ فصاحتهم ، ثم مشاهد المصارعين بالسيوف والاسرى الذين كانوا يقتلون انفسهم على مشهد من الناس بان يغمدوا اسنتهم في رقابهم ، أو باتباع وسائل اخرى اشد نكاية وأفظع مورداً ، في سبيل « الحرية » ، وتلك العادة التي كانت تضطر المجرمين السياسيين ان ينفذوا بأنفسهم الاحكام التي تصدر ضدهم ، مضافاً الى ذلك استبداد القياصرة وقسوتهم — جاء هذه الظروف جعلت للانتحار تلك القيمة الكبيرة في العصر الروماني . ولن نجد من الاشياء الدنيوية ما هو اكثر مسّاً للقلب من ذلك الجذل الشعري الذي استمسك « سنيكا » بأهدابه في عصر « نيرون » المستبد الروماني ،

(٩) شاب روماني نبيل يدعى كنتوس كورتيوس Quintus Curtius يقال انه في سنة ٣٦٢ ق . م . تردّى راكبا على ظهر جواده في هوة غمرت في الفوروم Forum الروماني ، وقد اعلن المتجمون انها لن تملأ قراغها الاّ بأثمن شيء في روما

(١٠) امبراطور روماني ولد حوالي سنة ٢٠٠ ق . م . (١١) راجع كتاب السر « كورنيل لويس » The Credibility of Early Roman History

(١٢) كاتو الاصغر - Marcus Porcius Cato - ولد سنة ٩٥ ق. م وقد بلغ انتصار قيصر الحاسم في موقعة ثابوس - Thapus - سنة ٤٦ ق . م — فضل أن يموت على أن يسلم ، فأمضى الليلة الاخيرة من حياته يقرأ كتاب « فيدون » تأليف افلاطون ، ثم انتحر بان احمد خنجره في صدره . وكان في سنة ٦٧ ق. م . قد احضر معه من بلاد اليونان الفيلسوف الرواقي أثندوروس Athendorus

على اعتبار انه الملجأ الاخير للمستبدّ بهم والمظلومين ، والنهاية الحلوة التي ينشدها العقل المضطرب الثائر ، قال : —

« بالموت وحده تعرف ان الحياة ليست عقاباً ، واني لاقف قوي الاصلاب تحت انواء الحظ والاقدار ، اذ استطيع ان احتفظ بعقلي غير مضطرب ، وان امضي به سيداً لنفسه . لان لديَّ الملاذ الاخير . ولقد ارى الخمسة وارى السندان ، وغيرهما من آلات العذاب مهيَّأة لان تلقم كل طرف من اطرافي وكل عصب من اعصابي ، غير اني ارى الموت ايضاً بجانب هذه الآلات . انه — اي الموت — يقف بعيداً عن ان تناله ايدي اعدائي المتوحشين وقصيًّا عن ان تمتد اليه قدرة عشيرتي . ان العبودية لتفقد كل ما فيها من مرارة ، ما دمت قادراً بخطوة واحدة ان اصل الى الحرية ، ومن كل متاعب الحياة ، لي في الموت مهرب وملاذ » — « ايها ادرت بصرك رأيت وذائل ودنايا . وانك لترى ايضاً تلك الهاوية السحيقة . ففيها تستطيع ان تهبط الى الحرية . انك ترى البحر وذاك النهر وتلك البئر ، ففي قعرها تكمن الحرية . هل انت تنشد طريق الحرية والخلاص ؟ انك لتجدها في اي شريان من شرايين جسمك الزائل » — « لو خيرت بين ميتة عنيفة ، واخرى هينة لينة ، فلماذا لا اختار الثانية ؟ وكما اختار السفينة التي اغرق بها الباب ، والمنزل الذي اعيش فيه ، كذلك استطيع ان اختار الميتة التي افارق بها الحياة . وليس من شيء يجب ان نكون اكثر حرية في اختياره ، منا اذا اردنا ان نموت بطريقة ما . فارقْ الحياة بالطريقة التي توحي اليك بها قواسرك كيفما كانت . بالسيف او بالحبل او بالسم يسري في شرايينك . اقتحم طريقك وحطم سلاسل العبودية . يحاول الانسان في حياته أن يحوز ما يستحسن غيره . اما ميتتهُ فذلك امر له وحده حق اختياره . ان القانون الابدي لم يبدع من شيء اروع من ان للحياة مدخلاً واحداً ، في حين ان لها مخارج كثيرة . لماذا احتمل آلام الامراض ، وقساوة الاستبداد الانساني ، اذا كنت قادراً على ان احرر نفسي من كل اوجاعي ، وان انفي بعيداً كل الاضداد والقيود ؟ لهذا السبب وحده ، ارى ان الحياة ليست شرًّا ، ما دام كل انسان غير مضطر لان يعيش . ان الانسان لسيد ، طالما انه لا يعيش شقيًّا الاَّ بارادته . اذا حسنت لديك الحياة فعش ، اما اذا لم تحسن لديك ، فلك الخيار في أن تعود من حيث اتيت »

من هذه الفقرات التي اخترت من كثير من اشباهها ، تدرك اي حد بلغت شهوة اكبر ممثل المدرسة الرواقية واعظم رجالها تأثيراً في العصر الروماني ، في الدفاع عن فكرة الانتحار . ولقد اعتبر القانون الروماني الانتحار كحق عام . غير انه قيده بعد بقيدين

انتين لا قيمة لها . فقد جرت العادة بين الرومانيين ان ينتحر منهم كل من توجه اليه تهمة سياسية قبل ان يتقدم للمحاكمة ، ليقي بذلك اكتمال بحثه ومصادرة املاكه . غير ان الامبراطور « دوميانوس » قد اوصد هذا الباب بأن قضى بأن انتحار اي شخص لا يخليه من المسؤوليات التي تترتب على اتهامه ، ثم جاء « هدريانوس » فجعل انتحار الجندي الروماني مساوياً في الجريمة لفراره من صفوف الجيش . وفيما عدا هذين القيدين كان الانتحار حقاً مباحاً ، يزاوله من اراد بالطريقة التي تحلوله ، والبواعث التي يراها كافية لان تجعل تخلصه من الحياة نعمة في نظره . فان انتحار « أوتو » —(١٣) Otho الذي فضل ان يفارق الحياة على ان تكون حياته سبباً في وقوع حرب أهلية أخرى ، كان في نظر المؤرخين وكتاب التراجم ، حادثاً يبلغ من العظمة والسمو مبلغ انتحار « كاتو » . وفي حروب « داسيا » المعروفة The Dacian Wars في تاريخ الرومان ، اسر قائد معروف اسمه « لونجينوس » (١٤) — Longinus — فحاول الاعداء ان يتوصلوا الى شروط مجحفة من الامبراطور « ترايانوس » — Trajanus — نظير فك إسره . غير ان القائد انتحر ، ليعطي للامبراطور الحرية في عدم التقيد بشرط مجحف شأ حياته . ولما انتحر « اوتو » تقدم نحو جثته عدد من جنوده الذين اخلصوا له وانتحروا امام الجثة الهامدة ، كما فعل احد عبيد « أغريبينا » (١٥) — Agrippina — اثناء جنازة الامبراطورة

على هذا كانت الفكرة في الانتحار عند الرواقيين في العصر الروماني الوثني . اما في العصور الحديثة فليس لهذه الحالات من مثال الا مثل الاميرال « توجو » الياباني — الذي انتحر امام جثة الامبراطور عند موته مظهراً بذلك انه اخلص للملك وبلاده الى الموت ، اي الى اقصى الحدود التي يمكن لفكرة التضحية البشرية أن تبلغها . وهذه مشاعر صادقة يجب ان نقف امامها بقلوب مليئة بالاكبار والاعجاب ، لان الانتحار في ذاته وان كان فعلاً قاسياً ، الا أنه بواعثه في مثل حالة كاتو ولونجينوس وتوجو ، لبواعث فيها من معاني الرقي الانساني مايفوت الاقلام وصفه او تصويره [ابن طفيل]

---

(١٣) اوتو Marcus Salvius ولد سنة ٣٢ بعد الميلاد وخلف « غالبا » Galba في تورته عند نيرون (٦٨ ب م) واعترف به امبراطوراً في كل انحاء الامبراطورية الرومانية ، ما عدا جرمانيا ، التي زحف منها فيتليوس Vitellius على ايطاليا وهزم توات « أوتو » هزيمة ساحقة ، فانتحر « أوتو » في اليوم التالي لهزيمته بعد ثلاثة اشهر من ارتقائه عرش القياصرة ، ليتفادى حرباً اهلية

(١٤) في الحرب اليابانية الروسية الاخيرة انتحرت والدة عجوز لئلا يكون بقاؤها في الحياة ماضياً يمنع ولدها الاوحد عن الذهاب الى ساحة القتال ليقوم بواجبه نحو وطنه

(١٥) أم الامبراطور نيرون الروماني ، قتلها ابنها سنة ٥٩ بعد الميلاد